

أضواء البيان

@ 21 @ الّذِي خَلَقَكُمْ ۖ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ۖ ثُمَّ يُمْرِتُكُمْ ۖ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۖ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ ۖ مَّن يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَ ۖ مِّنْ شِدَّةٍ ۖ وَلَا شَكَّ أَنْ الْجَوَابَ الَّذِي لَا جَوَابَ لَهُمْ غَيْرُهُ هُوَ : لَا أَيْ لَيْسَ مِنْ شُرَكَائِنَا مَنْ يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يَفْعَلَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ الْمَذْكُورِ مِنَ الْخَلْقِ وَالرِّزْقِ وَالْإِمَاتَةِ وَالْإِحْيَاءِ . فَلَمَّا تَعَيَّنَ اعْتِرَافَهُمْ وَبُخْهُمَ مِنْكَرًا عَلَيْهِمْ بِقَوْلِهِ : { سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعَالَمِينَ } . . .

وَالآيَاتُ بِنَحْوِ هَذَا كَثِيرَةٌ جَدًّا . وَلِأَجْلِ ذَلِكَ ذَكَرْنَا فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ : أَنْ كُلَّ الْاسْئَلَةِ الْمَتَعَلِّقَةِ بِتَوْحِيدِ الرَّبُّوبِيَّةِ اسْتِفْهَامَاتٌ تَقْرِيرٌ ، يَرَادُ مِنْهَا أَنَّهُمْ إِذَا أَقْرَأُوا رَتَبَ لَهُمُ التَّوْبِيخَ وَالْإِنْكَارَ عَلَى ذَلِكَ الْإِقْرَارِ . لِأَنَّ الْمَقْرُوبَ بِالرَّبُّوبِيَّةِ يُلْزِمُهُ الْإِقْرَارَ بِالْأَلُوْهِيَّةِ ضَرُورَةً . نَحْوُ قَوْلِهِ تَعَالَى : { أَفِي اللَّهِ شَكٌّ } ، وَقَوْلِهِ : { قُلْ أَغْيِرَ اللَّهُ أَيْدِيَّ } .

وَأِنْ زَعَمَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ أَنَّ هَذَا اسْتِفْهَامٌ إِنْكَارٌ . لِأَنَّ اسْتِقْرَاءَ الْقُرْآنِ دَلَّ عَلَى أَنَّ الْاسْتِفْهَامَ الْمَتَعَلِّقَ بِالرَّبُّوبِيَّةِ اسْتِفْهَامٌ تَقْرِيرٌ وَلَيْسَ اسْتِفْهَامٌ إِنْكَارٌ ، لِأَنَّهُمْ لَا يَنْكُرُونَ الرَّبُّوبِيَّةَ ، كَمَا رَأَيْتُ كَثْرَةَ الْآيَاتِ الدَّالَّةِ عَلَيْهِ . . .

وَالْكَلَامُ عَلَى أَقْسَامِ التَّوْحِيدِ سَتَجِدُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ الْمُبَارَكِ ، بِحَسَبِ الْمُنَاسَبَاتِ فِي الْآيَاتِ الَّتِي نَتَكَلَّمُ عَلَى بَيَانِهَا بِآيَاتٍ أُخْرَى . . .

وَمِنْ هَدْيِ الْقُرْآنِ لِيَلْتَمِسَ هِيَ أَقْوَمُ جَعَلَهُ الطَّلَاقُ بِيَدِ الرَّجُلِ . كَمَا قَالَ تَعَالَى : { يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ ۖ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ } ، وَنَحْوَهَا مِنَ الْآيَاتِ . لِأَنَّ النِّسَاءَ مَزَارِعَ وَحُقُولَ ، تَبْذُرُ فِيهَا النَّطْفَ كَمَا يَبْذُرُ الْحَبَّ فِي الْأَرْضِ . كَمَا قَالَ تَعَالَى : { نِسَاءٌ وَأُكُومٌ } .

وَلَا شَكَّ أَنَّ الطَّرِيقَ الَّتِي هِيَ أَقْوَمُ الطَّرِيقَ : أَنَّ الزَّارِعَ لَا يَرْغَمُ عَلَى الْإِزْدِرَاعِ فِي حَقْلِ لَا يَرْغَبُ الزَّرَاعَةَ فِيهِ لِأَنَّهُ يَرَاهُ غَيْرَ صَالِحٍ لَهُ ، وَالِدَّلِيلُ الْحَسِي الْقَاطِعُ عَلَى مَا جَاءَ بِهِ الْقُرْآنُ مِنْ أَنَّ الرَّجُلَ زَارِعٌ ، وَالْمَرْأَةُ مَزْرَعَةٌ أَنَّ آلَةَ الْإِزْدِرَاعِ مَعَ الرَّجُلِ . فَلَوْ أَرَادَتِ الْمَرْأَةُ أَنَّ تَجَامَعَ الرَّجُلُ وَهُوَ كَارِهِ لَهَا ، لَا رَغْبَةَ لَهُ فِيهَا لَمْ يَنْتَشِرْ ، وَلَمْ يَقْمِ ذَكَرُهُ إِلَيْهَا فَلَا تَقْدِرُ مِنْهُ عَلَى شَيْءٍ ، بِخِلَافِ الرَّجُلِ فَإِنَّهُ قَدْ يَرْغَمُهَا وَهِيَ كَارِهِةٌ فَتَحْمَلُ وَتَلِدُ . كَمَا قَالَ أَبُو كَبِيرٍ الْهَذَلِيُّ : وَلَا شَكَّ أَنَّ الطَّرِيقَ الَّتِي هِيَ أَقْوَمُ الطَّرِيقَ : أَنَّ الزَّارِعَ لَا يَرْغَمُ عَلَى الْإِزْدِرَاعِ فِي حَقْلِ لَا يَرْغَبُ الزَّرَاعَةَ فِيهِ لِأَنَّهُ يَرَاهُ غَيْرَ صَالِحٍ لَهُ ، وَالِدَّلِيلُ الْحَسِي الْقَاطِعُ عَلَى مَا جَاءَ بِهِ الْقُرْآنُ مِنْ أَنَّ الرَّجُلَ زَارِعٌ ، وَالْمَرْأَةُ مَزْرَعَةٌ أَنَّ آلَةَ الْإِزْدِرَاعِ مَعَ الرَّجُلِ . فَلَوْ أَرَادَتِ الْمَرْأَةُ أَنَّ تَجَامَعَ الرَّجُلُ وَهُوَ كَارِهِ لَهَا ، لَا رَغْبَةَ لَهُ فِيهَا لَمْ يَنْتَشِرْ ، وَلَمْ يَقْمِ ذَكَرُهُ إِلَيْهَا فَلَا تَقْدِرُ مِنْهُ عَلَى

شيء ، بخلاف الرجل فإنه قد يرغمها وهي كارهة فتحمل وتلد . كما قال أبو كبير الهذلي : %
(ممن حملن به وهن عواقد % حبك النطاق فشب غير مهبل) % .
فدلت الطبيعة والخلقة على أنه فاعل وأنها مفعول به ولذا أجمع العقلاء على نسبة